ثلا.. مدينة تاريخية تعانق السحاب

ثلا مدينة تاريخية ذات ملامح مميزة وطابع خاص وتاريخها ممتد إلى عصور موغلة وعاشت عليها حضارات وأمم غابرة عملت جميعها على تشكيل لوحة رائعة تمثلت بهذه المدينة التاريخية الجميلة التي تقع بالقرب من العاصمة صنعاء ورغم أنها تمثل مع مدينة حبابة آخر النقاط الحدودية لمحافظة عمران وقمة جبلها الشهير لا يضاهيها إلا مدينة كوكبان التابعة لمحافظة المحويت وهي مدينة تقع على قمة جبل شاهق الارتفاع وهي حصينة ومنيعة لا يمكن الولوج إليها إلا عبر بوابة وحيدة، أما مدينة ثلا التي لا تبعد كثيراً على شبام كوكبان الواقعة أسفل مدينة كوكبان الشاهقة فهي مدينة لها من الأبواب ربما ثلاثة حسبما شاهدناه في عديد من الزيارات وقد يزيد عدد هذه الأبواب ولكن لا يقل فهي الأبواب التي دخلنا وخرجنا منها خلال زيارات متعددة لهذه المدينة التي لا يمل منها ولا يشبع من التأمل بعبق حضاراتها وعراقة وأصالة موروثها ومعمارها الطرازي القائم على النقوش والزخارف والقمريات الملونة المعتمد أساساً على الأحجار التي استخرجت ولا زالت تستخرج من جبلها الناصب بشموخ وإباء يتوجه حصن المدينة الشهير والذي لا زال محافظاً على الكثير من معالمها وأجزاء كثيرة من سورها القديم، شأنه في ذلك شأن سور المدينة الذي لا زال محافظاً على وجوده باستثناء بعض الأماكن التي تم ترقيمها وإعادة السور كما هو

كتب/عبدالباسط النوعة

اكتشافات أثرية أسفل الحصن غير معلنة

وربما لا تزال هناك بعض الأماكن في هذا السور بحاجة إلى ترميم فضلاً عن النوب المنتشرة على مسافات متباعدة في هذا السور والتي ربما تحتاج بعضها إلى ترميم .. وقد قال الأخ محمد المعافا، مدير عام مكتب السياحة بمحافظة عمران، أن مدينة ثلا تمثل أبرز وأهم المزارات السياحية في محافظة عمران ولا توجد معالم أخرى في المحافظة تحظى باهتمام السياح مثل مدينة ثلا على الرغم من كثرة المواقع والمعالم السياحية والتاريخية التي تحويها محافظة عمران وقد تم إعادة ترميم أجزاء كبيرة من سور ثلا بأسلوب تقليدي يتناسب مع النمط التقليدي الذي بني عليه السور قديماً وبأحجار مشابهة، وهذا السور استطاع خلال الفترة الزمنية التي رافقت إنشاء المدينة أن يكون لها الدرع الحامي والواقي في وجه أي أخطار قد تتعرض لها ثلا.

ولعل أعظم المشاكل التي كانت ولا زالت تواجهها مدينة ثلا التاريخية الندرة الكبيرة في المياه وحاجة سكانها المستمرة والدائمة فالزائر يلحظ بشكل واضح مدى حرص السكان وذهابهم وايابهم لاسيما الأطفال من الجنسين وهم يحملون «دبات» المياه وخلال الزيارات المتعددة التي قمنا بها إلى هذه المدينة وهذا المشهد يتكرر باستمرار مهما اختلفت وجهات كل زيارة والذي يدل أن معاناة هذه المدينة مع المياه ليست مشكلة حديثة بل قديمة قدم المنازل والمعالم التاريخية فيها هي تلك الاحواض الكبيرة التي استخدمت ولا زالت لخزن المياه «مياه الأمطار» والتي وجدنا منها اثنتين الأولى عند البوابة المشرفة على المجمع الحكومي لمديرية ثلا والذي تم بناؤه خارج المدينة مؤخراً بالإضافة إلى بركة أخرى مشابهة في الجهة المقابلة أمام البوابة المطلة على مدينة حبابة، وهاتين البركتين مقضضتين بصورة جميلة للغاية ولا زالتا في حالة جيدة جداً ويقومان بعملهما على أكمل وجه وبالنظر إلى المدينة ومبانيها الرائعة ذات الشكل المعماري المحافظ على طابعه الخاص بهذه المدينة وأزقتها الرائعة وأسواقها التقليدية الفريدة، فضلاً عن قلة المخالفات والتشويهات المعمارية باستثناء تلك المخالفة الفاضحة في البوابة الرئيسية للمدينة واستخدام الأعمدة الاسمنتية التي يمكن أن نتفادها بتغطيتها بأي من المواد التقليدية التي تستخدم في البناء على هذه المدينة ويمكن أن تشكل هذه المدينة أنموذجاً متميزاً للكثير من المدن التاريخية من حيث قلة المخالفات المعمارية والتشويهات والاستحداثات التي تختلف عن جوهر البناء التقليدي فضلاً عن الرصف الذي ينتشر في معظم شوارع وأزقة المدينة الأمر الذي لا زالت مدن تاريخية عديدة تعاني من احتياجاتها لمشاريع رصف أما تكميلية أو لأجزاء كبيرة منها، ومع هذا لم تحظ ثلا بما تستحق من اهتمام شأنها في ذلك شأن المدن التاريخية المعروفة صنعاء القديمة وشبام حضرموت وجبلة وزبيد وأن كانت هناك أحاديث يتم تناقلها في أوساط المهتمين أنه يتم التحرك لإدخال هذه المدينة ضمن قائمة التراث العالمي ومؤخراً زار أحد المسئولين الألمان هذه المدينة وهو يعمل وزيراً للتنمية والتعاون الدولي في ألمانيا وقد أبدى إعجابه الشديد بهذه المدينة التاريخية التي وصفها بالمدهشة وتمثل وجهاً من أوجه الحضارة الإنسانية القديمة وهي ثروة تاريخية وحضارية ينبغي استغلالها سياحياً والحفاظ عليها وعلى طابعها التاريخي القديم وموروثاتها الشعبية التقليدية.

عند إحدى الزيارات للمدينة وجدنا مجموعة من الفتيات اللاتي لا تتجاوز أعمارهن منتصف العقد الثاني من العمر يقمن ببيع منتجات حرفية تقليدية وقد استطعن اتقان التحدث بأكثر من لغة وإن كان الانجليزية هي المنتشرة بين هؤلاء الفتيات وهنا نتساءل لماذا لا يتم الاستفادة من هؤلاء الفتيات والعمل على تأهيلهن سياحياً ليكن إحدى الدعامات السياحية في تلك المدينة.

ولعل ما أكمل اللوحة التاريخية لهذه المدينة هي تلك القلعة الشامخة على قمة الجبل الشاهق المطل على المدينة وهذه القلعة لايمكن الوصول أو الصعود إليها إلا عبر بوابة وحيدة موجودة في أعلى القرية وبعدها يتم السير على الأقدام صعودا لتصل إلى بوابة أخرى تؤدي مباشرة إلى ذلك الحصن الواسع ذي البرك ومخازن الحبوب وبعض اجزاء مباني كانت تستخدم للسكن وسور ممتد على حواف ذلك الجبل هذا السور ليس محكما وأحجاره عرضه للتساقط بشكل مستمر الأمر الذي يشكل خطورة على الأهالي لا سيما من الجهة المشرقة على المدينة فضلا عن أهمية هذا السور تاريخيا ولهذا نتمنى أن يتم ترميم هذا السور بصورة عاجلة وملحة وهذا الترميم كان من المفروض أن يتم قبل سنوات عديدة مضت ولكن يتم الآن تنفيذ مشروع لترميم هذا الحصن يشرف عليه الصندوق الاجتماعي للتنمية وقد تم مؤخرا اكتشاف العديد من المآثر والقطع الأثرية أسفل هذا الحصن ولكننا نتساءل لماذا لم يتم الإعلان عن هذه الاكتشافات وماهيتها وإلى أين يتم أخذها والاحتفاظ بها؟ وقد تم مؤخرا التوجيه من قبل محافظ عمران كهلان أبو شوارب بتسليم هذا الحصن السياحي لإدارته بدلا عن المجلس المحلي بعد أن تعهد مكتب السياحة بتوريد إيرادات تفوق ما يورده المجلس المحلي مئات المرات إلى خزينة الدولة فالمجلس المحلي يتحدث عن إيرادات تقدر بعشرات الآلاف سنويا فيما يتحدث مكتب السياحة عن ملايين تعهد بتوريدها سنويا الأمر الذي يبين أن هناك تلاعبا في الإيرادات وهو ما عزا بالمحافظ إلى تحويل إدارة هذا الحصن إلى مكتب السلطة.

أقل المدن التاريخية تشويهاً وأكثرها حفاظاً